سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
العدد: 16 السداسي الأول 2025

أبحاث في التاريخ السياسي والاجتماعي للجزائر

1519 ـ 1962

أعمال مهداة للمرحوم الدكتور العيد مسعود

الهيئة المشرفة

أ.د. عبد الله مقلاتي — أ.د. أبو بكر الصديق حميدي
أ.د. عمر بوضربة — أ.د. كمال بيرم

منسقا الكتاب

د. نور الدين مقدر — أ.د. عبد القادر خليفي

فهرس المحتويات

التعريف بموضوع الكتاب **06**

كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

✍ **أ.د/ عبد الله مقلاتي**..... **09**

الفصل التمهيدي
حياة وأعمال المؤرخ الدكتور العيد مسعود

الدكتور الباحث العيد مسعود

من جامع الأزهر إلى التدريس وإدارة الجامعة الجزائرية

✍ أ /الأخضر رحموني- جامعة بسكرة..... **11**

الفصل الأول
بحوث في التاريخ الحديث

نشأة مدينة بوسعادة

✍ د. خميسي سعدي - **المركز الجامعي بريكة**..... **17**

جدلية مسار العلاقات الجزائرية العثمانية بين التبعية والتحالف

✍ أ. د. حميدي أبوبكر الصديق - جامعة المسيلة..... **45**

التغيرات المجالية لبلاد الزاب خلال العهد العثماني

في ضوء مدونات الرحلة والجغرافيا

✍ **د. زياني الصادق - جامعة سطيف 02**..... **58**

أساليب تعيين حاكم الجزائر خلال عصر الدايات (1671م-1830م)

✍ **د. هشام بن سالم - المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة**..... **81**

إطلالة على الأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال مضمون رحلة الحسين الورتلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

✍ **د. عبد النور أيت بعزيز- جامعة البليدة 02**..... **98**

الفصل الثاني
بحوث في التاريخ المعاصر

سياسة الاستيطان الفرنسي والتغيير الراديكالي لبنية المجتمع الجزائري

✍ دة. سعدية بن حامد- جامعة المسيلة..... 123

المجتمع الجزائري في ظل الدراسات والسياسات الاستعمارية الفرنسية

✍ دة. كوثر هاشمي - جامعة 8 ماي 1945 –قالمة.....

141

مواقف أعيان منطقة الأغواط من سلطة الأمير عبد القادر

✍ دة. فاطمة دجاج - جامعة الأغواط..... 163

الحياة اليومية للمهجَّرين الجزائريين في المستعمرات العقابية الفرنسية (1870- 1900)

✍ د. خيري الرزقي- جامعة باتنة 01..... 195

دور الصِّحافة في نشر الفكرة الإصلاحية بمنطقة الزيبان

✍ أ.د. عبد القادر قوبع – جامعة الجلفة

✍ أ.د. محمد السعيد قاصري – جامعة المسيلة..... 222

قراءة في النشاط السياسي لمصالي الحاج كزعيم لنجم شمال إفريقيا من خلال مذكراته 1925-1936

✍ دة. يمينة بن رحال - جامعة المسيلة..... 244

بلعيد عبد السلام و8 ماي 1945م بعين الكبيرة في مراسلة سرية للشرطة الفرنسية

✍ أ.د. بشير فايد - جامعة سطيف 02..... 263

دور معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس وشيوخه في الثورة التحريرية

✍ أ.د عبد الله مقلاتي- جامعة المسيلة..... 283

دعم المملكة الليبية لجبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954. 1962م

✍ دة. سمية سالم الشعالي - جامعة سرت – ليبيا..... 309

مذكرات امرأة مجاهدة من سطيف خلال ثورة التحرير الجزائرية: المجاهدة يمينة شراد: 'ست سنوات في الجبال' Six ans au maquis

✍ د. زهير بن علي- جامعة سطيف 02

✍ د. خليل كمال - جامعة سطيف 02..... 328

التنظيم السياسي والعسكري للثورة التحريرية بمنطقة الحضنة

✍ د. نورالدين مقدر- جامعة المسيلة..... 349

مبدأ التسامح الديني تجاه الأقلية اليهودية بالجزائر: قراءة وتحليل لرسالة جبهة التحرير الوطني إلى يهود الجزائر الفاتح من أكتوبر 1956م

✍ دة. معوشي آمال- جامعة المسيلة..... 360

إضراب الثمانية أيام 1957م: الأهداف والتداعيات

✍ أ.د. عبد القادر خليفي - جامعة المسيلة..... 393

نشاط مكاتب جبهة التحرير الوطني في قارة آسيا 1957-1959

✍ أ.د. عمر بوضربة - جامعة المسيلة..... 429

كتابات فرانز فانون عن: المرأة الجزائرية المستعمرة بين التعنيف ومحاولات الاستلاب

✍ د. سليم سايح - جامعة قسنطينة 02..... 447

أرشيف المنتصر قراءة في الأرشيف الفرنسي وواقع كتابة تاريخ الجزائر

✍ د. إدريس لعبيدي - جامعة الطارف..... 468

رقم الإيداع القانوني: السداسي الأول 2025
ISBN: 978-9931-899-05-1

إضراب الثمانية أيام 1957م: الأهداف والتداعيات

✍ أ.د. عبد القادر خليفي
جامعة المسيلة
abdelkader.khelifi@univ-msila.dz

مقدمة

تعد الإضرابات الشعبية، أحد الأشكال الجديدة التي عرفها تطور الفعل الثوري، حيث باتت تمثل خيارا مطروحا لدى القيادة، ومن ثمة، فقد شرعت جبهة التحرير الوطني في تبني آليات العمل الجماهيري لتجاوز حالة التوجس والتردد لدى الغالبية من الجزائريين، وفي هذا الصدد، عملت ومنذ العام الثاني للثورة على خرط الجزائريين ولو بكيفية متدرجة، وذلك باعتماد محطات معلمية لها دلالات خاصة في إطار الصراع مع المحتل، حيث عملت على جعل تواريخ بعينها أياما للتحدي، على غرار ذكرى الثامن ماي والخامس جويلية والفاتح نوفمبر، وهي المناسبات التي جعل منها عناوين لتنشيط المواجهة، وإبراز الالتفاف خلف قيادة جبهة التحرير.

ولعل من التساؤلات المثارة هنا، ما تعلق بحقيقة الانتشار الجبهوي على الساحة الوطنية بعد مضي بضعة أشهر فقط على انعقاد مؤتمر الصومام، فما هي قدرات جبهة التحرير التجنيدية؟ وكيف هي حال العلاقة مع القاعدة الجماهيرية العريضة؟ وهل كانت الجبهة فعلا صاحبة سطوة ميدانية قبل إقدامها على رفع خطاب التحدي في وضح النهار؟

1- السياق التاريخي لإضراب الثمانية أيام

بات معروفا أن المؤتمرين في الصومام، قد ناقشوا فكرة تعميم المعركة بمختلف الصيغ بإشراك المدن بعد أن ظلّ الريف يتحمل العبء الكبير للمواجهة مع المستعمر وهكذا جرى الحديث عن ضرورة إقحام المدن في الانتفاضة، وهي الخطوة التي ستجد تطبيقها العملي مع حلول الذكرى الثانية لاندلاع الثورة في الفاتح نوفمبر 1956م[1].

وتفعيلا لمسعى تحريك المدن، ودمج الفئات المختلفة في الثورة، يأتي قرار تنظيم إضراب لمدة 24 ساعة بمناسبة الذكرى الثانية لاندلاع الثورة، والذي يعد أول اختبار للاستراتيجية الثورية المتبناة بعد 20 أوت 1956م، وأول مبادرة تقوم بها لجنة التنسيق والتنفيذ بصفتها سلطة مستحدثة، وتعكس رسالة عبان رمضان المؤرخة في 06 أكتوبر 1956م الموجهة إلى الوفد الخارجي بالقاهرة تلك الإرادة القوية في إعطاء نفس جديد للعمل الثوري، فقد جاء فيها(لقد قررنا تنظيم إضراب عام على المستوى الوطني بمناسبة الفاتح من نوفمبر يوم اندلاع الثورة الجزائرية، سوف نقوم بكل ما في وسعنا لإنجاح هذا الإضراب، ونحن في اتصال مع المنطقة الوهرانية، وسنرسل لهم المنشورات المطلوبة... يجب إصدار نداءات ابتداء من 25 أكتوبر عبر أمواج الإذاعة (القاهرة ودمشق)، ونحن متيقنون هنا بالنجاح 100% بالعاصمة

1 - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت 1983م، ص 166. وبمناسبة الاحتفال بالذكرى الثانية لاندلاع الكفاح المسلح وجهت ج ت ونداء إلى الشعب الجزائري من أجل الوحدة والتضامن ودعته إلى المشاركة القوية في الإضراب العام، حيث ورد: "سيكون فاتح نوفمبر 1956م يوم ذكرى في انتظار اليوم الذي سيصبح فيه عيدا وطنيا، فلن يسمح في هذا اليوم بأي عمل ...يجب أن يكون إضراب الفاتح نوفمبر شاملا ...حتى تظهر مليا وحدتنا الكاملة في الأفكار والعواطف". ينظر: جريدة المقاومة الجزائرية، الطبعة ب، العدد 11، د.ت، ص 82.

وضواحيها، وكل منطقة القبائل الكبرى والقبائل الصغرى، وفيما يخص ما تبقى من المقاطعة فنتوقع نجاح العملية بنسبة 70 إلى 80%) [1].

لقد أرادت جبهة التحرير الوطني بعد أن أيقنت أو هكذا بدا لها أنها قد تحكمت في تأطير الشعب البرهنة في الميدان بأنها أصبحت فعلا الممثل الشرعي الوحيد لتطلعاته في التحرر والاستقلال، وكان عليها أن تقدم الدليل في سياق محلي ودولي يبدو في غاية التعقيد والخطورة وينذر بالتعتيم على القضية الجزائرية إلى أجل غير مسمى[2]. كانت المسألة الأساسية في كل هذا الحراك، هي معرفة مدى التجاوب الشعبي مع مثل هذه الخطوة الجريئة، فالقبضة الاستعمارية أخذت في التوسع، ودرجة القمع ازدادت، ومع ذلك فإن قيادة الثورة وتحديدا ل ت تCCE كان لديها من المؤشرات المشجعة ما يجعلها تمضي قدما في هذا الاتجاه، فلقد أبدت الجماهير الشعبية في أوت 1955م تأييدها العلني لجيش التحرير الوطني، وقد سبقها وأعقبها العديد الإضرابات بالجزائر، فهناك إضراب 5 جويلية 1955م ذكرى غزو الجزائر، وهناك إضراب 20 سبتمبر بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لهيئة الأمم المتحدة، وإضراب 1 نوفمبر 1955م إحياء للذكرى الأولى للثورة.

وفي عام 1956م كانت الحركة أكثر متابعة في نفس المحطات السالفة الحديث، ذلك أن اضطرابات عديدة[3] قد أثبتت نجاحها في مناسبات

1 - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2011م، ص 118. ينظر أيضا مبروك بلحسين المراسلات بين الداخل والخارج: الجزائر القاهرة 1954-1956م ترجمة الصادق عماري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004م، ص 96.

2- محمد عباس، نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية 1954-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007م، ص 222.

3- من بين تلك الإضرابات الرمزية، نذكر ما وقع في تلمسان بتاريخ 19 جانفي 1956م بعد اغتيال الدكتور بن زرجب، حيث انتظمت حركة إضرابية متبوعة بمظاهرات في الشارع لاسيما في شارع

مختلفة، كما تفجر في يوم 23 أكتوبر 1956م إضراب ومظاهرات بعد واقعة اختطاف طائرة القادة الأربعة، وهي الاحتجاجات التي انتشرت أكثر خاصة في القطاع الوهراني ودامت أسبوعا كاملا[1] ، وبرأي أحد المعاصرين، فقد استفتت جبهة التحرير الوطني الشعب بشأنها في مناسبات شتى، وأطلقت شعارات اتبعها الجزائريون قاطبة، ومنها مقاطعة بعض المنتجات مثل التبغ، ولكن بالإضرابات العامة التي كانت تشمل الجزائر بأسرها، عبّرت الجماهير بصورة لا تقبل الجدل عن تأييدها غير المشروط معركة التحرير[2].

2- الإعداد للإضراب العام

لقد احتاجت خطوة من هذا القبيل إلى الكثير من التفكير والتدبير، واستقراء واقع الثورة وآفاق تطورها، ذلك أن الإقدام على هذه العملية الخطيرة يتطلب بلا جدال جرأة كبيرة وثقة عالية في النفس ورهانا غير عادي يتعلق بمدى النفوذ الذي صارت تتمتع به جبهة التحرير الوطني من جهة،

سيدي بومدين، مما حدا بالسلطة الفرنسية إلى فرض حظر للتجول لمدة 16 ساعة يوميا استمر إلى غاية اليوم 24 من نفس الشهر.

ومثل إضراب 1800 عامل بشركة البناء جاتمان بوهران المكلفة بإنجاز مشروع قاعدة المرسى الكبير، لمدة 24 ساعة تعبيرا عن موقف سياسي يدين حادثة اختطاف الطائرة، المقلة لزعماء الثورة بتاريخ 22 أكتوبر 1956م.

ينظر: سهام بن غليمة، إضراب الثمانية أيام 28 جانفي – 04 فيفري 1957 وانعكاساته على مسار الثورة الجزائرية رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009-2010م، ص ص04-05.

1 -Patrick Kessel, Giovanni Pirelli, le Peuple algérien et la guerre: lettres et témoignages 1954-1962, l'harmattant, paris, 2003,p83.

ينظر أيضا: محفوظ قداش، المصدرالسابق، ص 114.

2 - محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961، ترجمة علي الخش، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص90.

ويقتضي في المقابل تقديرا موضوعيا لردود العدو الفرنسي في مواجهة هذا التحدي غير المسبوق، ومن ثمة فعلى المرء أن يتساءل إلى أي حد وفق القادة في حساباتهم؟ وهل خضع اختيارهم لمناقشات جادة، واستشارات متعددة؟

تفيد الشهادات أن اللجنة قد عقدت أول اجتماع لها بعد شهر من مؤتمر الصومام لتدارس الوضع على الصعيدين الوطني والدولي وخلصت إلى ضرورة المعاجلة بالقيام بعمل ذو طابع وطني لإظهار شمولية الثورة، وفي خضم هذا المسعى، طرأت تطورات سياسية دولية بالغة الأهمية، تتمثل في تحويل الطائرة المقلة لقادة الثورة والعدوان الثلاثي على مصر، وتبني الكتلة العربية الآسيوية للقضية الجزائرية واعتزامها عرضها على الجمعية العامة للأمم المتحدة[1].

اتخذ القرار في العشر الأوائل من شهر نوفمبر 1956م، لأنه كان مقررا أن تنعقد جمعية الأمم في شهر ديسمبر، وفي تلك الفترة كانت الجماعة المساندة للجزائر في جمعية الأمم تسمى الكتلة العربية-الآسيوية ولم تكن الإفريقية والآسيوية كما عرفت فيما بعد، فعزمت على الدفع بالقضية بعد أن تبنتها ولتأييد ذلك الموقف كان يتعين على قيادة الثورة أن تعمل عملا يزكي ويدعم مسعى هذه الكتلة، لأن فرنسا كانت تزعم بأن الجزائر فرنسية، ولذلك كان على ج ت و أن تعلن للعالم بأن الجزائر ليست كذلك وهذا بمشاركة الجماهير الشعبية من خلال عمل واحد وموقف موحد[2].

حملت الأدبيات المؤرخة للحدث ما يفيد بأن ابن مهيدي كان صاحب الفكرة، ومن ذلك شهادة سعد دحلب التي جاء فيها: (العملية الكبرى التي

1 - بن يوسف بن خدة، حوار مع عبد الحميد السقاي والزبير بوشلاغم، بمناسبة الذكرى الثلاثين لإضراب الثمانية أيام مجلة أول نوفمبر، العدد 81، الجزائر، 1986، ص 8.

2 - بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، المصدر السابق، ص ص 115-116.

قمنا بها سويا والتي كان من الممكن أن تجعلنا نتضاد بعضنا بعضا كانت إضراب الثمانية أيام ... وإذا لم تخن الذاكرة فالفكرة كانت لبن مهيدي)[1]، وأيضا ما أورده الباحث في تاريخ الثورة أليستر هورن Alistair Horne[2]، ويشاطر هذا الرأي عبد الكريم حساني وهو صهر ابن مهيدي، الذي ذهب إلى أن فكرة تنظيم انتفاضة شعبية جماهيرية لم تبارح أبدا ذهن الرجل ولعله كان يفكر بها حتى حين كان قائدا للناحية الوهرانية، وهذا الحماس جعله يتوقع النصر القريب وفي هذا المنحى أطنب المؤرخ محمد حربي في معالجة المسألة بالحديث على أن ابن مهيدي يكون قد حدد لابن طوبال بحسب هذا الأخير موعدا في العاصمة للاحتفال بالنصر في بداية عام 1957م[3]، وإذا كان حلول هذا التاريخ لم يكن مرادفا للاحتفال بالنصر، فقد كان يسمح بتحريض السكان على الانتفاضة لتحقيق ذلك، ومن هنا جلبت فكرة جر الجماهير إلى الإضراب انتباه العديد من المعاصرين، لاسيما وأن سجل الثورة يحوي العديد من المواقف المشابهة ولو جزئيا، فكان أن حظي الطرح بالقبول[4]،غير أن ياسف سعدي، أدلى في الفترة القريبة بشهادة مغايرة يقول فيها أن ابن مهيدي أخبره بعد اتخاذ القرار بأن عبان[5] هو الذي اقترح الفكرة خلال

1- سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.، ص ص 45-44.

2 - Alistair Horne, Histoire de la guerre d'Algérie, traduit par: Yves du Guerny et philippeBourdel, 4ed, Editions Dahlab, Alger, 2007, p198.

3 - علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011م، ص 137. ينظر أيضا: محمد حربي، المصدر السابق، ص 167.

4 - خالفة معمري، عبان رمضان، تعريب زينب زخروف، منشورات ثالة، الجزائر 2008م، ص 410.

5 - ومن بين الكتابات أيضا التي نسبت فكرة الإضراب إلى عبان رمضان نذكر:

-Sid Ahmed Dendane, Chronique d'un citoyen ordinaire, l'Harmattant, paris 2001, p84.

الاجتماع وكان مؤمنا بها وأنه وافقه الرأي، في حين أبدى كريم تخوفه من المغامرة[1].

إن قرار الإضراب قرار خطير، ولذلك يؤكد كل من بن يوسف بن خدة وسعد دحلب أن الاتفاق عليه كان جماعيا، ولم يتم تسجيل أية معارضة لهذا المقترح، لكن الاتفاق على المدة التي اعتمدت في النهاية احتاج إلى وقت ومناقشات مطولة[2]، دافع بن مهيدي عن فكرة أن يستغرق الإضراب شهرا كاملا، وكان يرى أن الطابع الاستثنائي لظاهرة من هذا القبيل مرتبط أساسا بما تستغرق من مدة زمنية[3]، فبقدر ما تطول مدتها، بقدر ما تكون رسالتها الثورية أبلغ تأثيرا، وكان عبان من ناحيته يؤيد فكرة طول المدة، غير أنه لا يشاطر زميله في مقترحه بأن تكون لمدة شهر فتلك مبالغة، وهو رأي يطابق ما جنح إليه كل من كريم بلقاسم وبن يوسف بن خدة[4].

وفي تحليله للمدة المقترحة للإضراب، ذهب أحد الباحثين إلى أنه كان يتعين أن تكون أطول من أية فترة مضت لغرض مزدوج، إظهار قدرات

- Hassan Aissat, AissatIdir: sa lute politique et syndicale pour l'indépendance de l'Algérie l'harmattant, paris, 2006, p113.

1 - عبد الله مقلاتي، التاريخ السياسي للثورة الجزائرية، الكتاب الثاني، شمس الزيبان للنشر والتوزيع،2013، ص263.

2 - سعد دحلب، المصدر السابق، ص 44. ينظر أيضا: الطاهر أيت حمو، رجال صنعوا التاريخ: لقاء مع الرئيس بن يوسف بن خدة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 100.

3- يقول سعد دحلب بشأن إصرار بن مهيدي على طول المدة: " حيث أن بن مهيدي كان يدافع وبكل حدة عن فكرة القيام بالإضراب لمدة شهر، لم أره أبدا ينظر إليّ بمثل ذلك الازدراء وربما الشفقة وهو الذي كان يعاملني بلطف عندما غامرت باقتراح يوم أو يومين على الأكثر زد على ذلك أن أحدا لم يجبني فكتمت أنفاسي دون نقاش ". المصدر نفسه، ص45.

4 - بن يوسف بن خدة، الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957م، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005، ص 52.

الجماهير على الصمود من جهة، وإبراز التمايز عن الإضراب الذي دعا له المصاليون[1]، كما أن توسيع الإضراب إلى خارج الحدود والتركيز على فرنسا، يصب في نفس الهدف خاصة وأن الأخيرة تعرف تمركزا كبيرا للمصاليين[2].

استقر الرأي بعد التداول الحاد على مدة أسبوع، وإن كان أعضاء اللجنة قد اتفقوا على برمجته عشية انعقاد دورة الأمم المتحدة، غير أنهم أبدوا مواقف مختلفة بخصوص نتائج وانعكاسات خطوة جريئة مثل هذه وقد كان الثلاثي عبان وبن مهيدي وبن خدة متفقون على قيام الجزائريين وخاصة في العاصمة بإضراب عام ينادي بالمطالبة بالاستقلال، في الوقت الذي تطرح قضيته للنقاش على منبر الهيئة الأممية لأول مرة، في حين كان الثنائي كريم ودحلب متخوفين من انعكاسات ردة الفعل الفرنسية التي قد تقوض نهائيا نشاط الثورة في منطقة تمركز حيوية أي العاصمة[3]، التي يكون بها صدى الأعمال الثورية قويا بسبب وجود التمثيل الأجنبي والصحافة بأنواعها، علاوة على كونها مركز الإدارة الاستعمارية نفسها[4]،وعن مكان اتخاذ القرار، يؤكد بن خدة أنه تم في المكان الذي ألفت لجنة ت ت الاجتماع فيه وهو في شقة يملكها المناضل الشهيد محمد عمارة المدعو رشيد وتقع في 133 شارع كريم بلقاسم بأحـد الأحياء الأوروبية الراقية وهذا لإبعاد الشبهات[5].

1 - لقد وقع الباحث جيلالي صاري في خطأ، حينما ذكر أن الحركة الوطنية الجزائرية دعت إلى إضراب لمدة ثلاثة أيام بينما في الواقع لم تدع هي سوى لإضراب محدود لمدة يوم واحد فقط.

2 - جيلالي صاري، ثمانية أيام من معركة الجزائر (28جانفي – 04 فيفري 1957)، ترجمة خليل أوذاينية، موفم للنشر، الجزائر، 2012 ص 37.

3- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 264.

4- بن يوسف بن خدة، حوار مع عبد الحميد السقاي والزبير بوشلاغم، المرجع السابق، ص 6.

5 - الطاهر آيت حمو، المرجع السابق، ص 108.

أطلق الاتحاد العام للعمال الجزائريين نداء للاستجابة والمشاركة القوية في الإضراب العام، وشرحت جريدة "العامل الجزائري" في عددها الـ13 ليوم 26 جانفي 1957م بأن الأمر يعد تزكية لجبهة التحرير قائدة الكفاح، ودعت العمال إلى الانخراط بقوة في هذه المعمعة المصيرية، وكسر حاجز الخوف والتردد وإظهار الوحدة والعزيمة[1]، وفي سياق متصل دعت جبهة التحرير الوطني بمعية المركزية النقابية العمال القادمين من المناطق الداخلية للالتحاق ببلديات إقامتهم تجنبا لإجراءات الاعتقال التي يتوقع أن تستهدفهم[2]،كما وجه إ ع ع ج من ناحية أخرى رسالة مفتوحة إلى العمال الجزائريين من أصل أوربي حاثا إياهم على مساندة زملائهم وتعميم الإضراب[3].

على صعيد الامتدادات الجغرافية لهذا الحراك خارج الوطن، فقد كانت فرنسا مجالا رئيسا، فهناك حيث التمركز الأقوى للجالية الوطنية يكتسي الإضراب بعدا متميزا، إذ كان على الجبهة أن تبرهن بذكاء للرأي العام الفرنسي والأوربي والعالمي عن صفتها التمثيلية الحصرية للشعب الجزائري، وأن تقوّض الضبابية التي لا تزال إلى تلك الآونة تلقي بظلالها على الكثير من المهاجرين وحتى لدى الأوساط الفرنسية، حول حقيقة الجهة التي تقود حركة الكفاح، لاسيما وسط حالة التجاذب القائمة بين الإخوة في التنظيمين المتنافسين ج ت و والحركة الوطنية المصالية، وهذا ما عبّر عنه محمد لبجاوي الذي كان مشرفا على قيادة الفدرالية لحظة الإضراب، حيث ذكر أن الصحافة والمراقبين الفرنسيين الأكثر اطلاعا، كانوا ما يزالون يتساءلون حينه

1 - محمد تقية، الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمآل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010م، ص 218.

2 - محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 115.

3 - خلوفي بغداد، المرجع السابق، ص 232.

هل جبهة التحرير أم حركة مهي من تمثل فعلا الثورة الجزائرية؟[1]

وفي ذات السياق، جاء في شهادة محند أكلي بن يونس[2] أن إضراب الثمانية أيام بفرنسا مثل التجربة الأولى في تجنيد الجزائريين سياسيا والتفافهم حول ج ت و، وتحدث عن عمليات التوعية بالحدث والتي تمت على مستوى المقاهي والفنادق، من خلال الاحتكاك المباشر مع مرتاديها، وأيضا عبر آلية توزيع المنشورات والكتابات الحائطية الممجدة، ولم يخف ذات المصدر بأن المسألة لم تكن باليسيرة، على اعتبار أن المكلفين بها كانوا مضطرين إلى الظهور العلني، مع ما يصاحب ذلك من مخاطر[3] قد تلحق بأمنهم علاوة على صعوبات إقناع الكثير من الرعيل الأول من المهاجرين الذين

1 - محمد لبجاوي، المصدر السابق، ص 94.

2- محند أكلي بن يونس، أصيل بلدية عين الحمّام بولاية تيزي وزو، ولد سنة 1936، هاجر إلى فرنسا بغرض مساعدة والده في تسيير أعماله التجارية بحي سان دوني بضواحي باريس، مع اندلاع الثورة انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني حيث دخل النشاط السري في الدائرة 18 بالعاصمة الفرنسية وبدأ بمعية مجموعة من المناضلين في هيكلة الأفواج الأولى للجبهة وتحسيس الجالية بأهمية دعم الثورة انتحل هويتين مزورتين هما مازين دانيال ومنور موسى وقد ساعده في ذلك أحد أعضاء شبكات الدعم المشهورين في هذا المجال أدولفو كامينسكي كان ينشط تحت اسم مستعار هو دانيال، بعد مظاهرات 17 أكتوبر 1961م عينته اللجنة الفدرالية المقيمة بألمانيا منسقا عاما على مستوى التراب الفرنسي، غداة الاستقلال يسلك طريق المعارضة ويتم توقيفه وسجنه بضعة أشهر ثم ينضم إلى جبهة القوى الاشتراكية المؤسسة عام 1963م، ليغادرها سنة 1965م ويتفرغ لاهتماماته العائلية، يرأس جمعية مجاهدي فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا منذ سنة 2004م.

3- في هذا الإطار وتناغما مع هذه الشهادة، حملت إفادة أحد كوادر الفدرالية الناشطين بباريس بأن أول ضحية سقط برصاص المصاليين بمنطقة كليشي أثناء مباشرة مهام توعية المهاجرين في المقاهي تحضيرا للإضراب هو المناضل ربيع الربيع، الذي تحولت جنازته يوم 4 فيفري 1957م إلى مناسبة التفّ خلالها المهاجرون أكثر حول الجبهة. محمد غفير، مقابلة شخصية، حسين داي، الجزائر، 03 أكتوبر 2015م.

بقوا تابعين لتيار مصالي، ورغم كل هذه التحديات فقد لقي الإضراب استجابة واسعة في صفوف الجالية[1].

لقد بدأ الإعلان عن الإضراب شهرا قبل التاريخ المحدد، حيث تحدثت التقارير الاستخباراتية الفرنسية على أن الإشعار بالتهيؤ للإضراب قد وصل إلى مختلف مناطق الجزائر، وفي هذا الصدد، ذكر تقرير سري بأن أول نشر لهذا الأمر قد تم بتاريخ 22 ديسمبر 1956م على الساعة العاشرة ليلا، بواسطة جهاز إرسال سري، وقد أذيع نص النداء باللغة الفرنسية، وأعيد بثه مع إضافة تعليق يوم 24 من نفس الشهر وفي ذات التوقيت[2].

كانت أهداف ج ت و هذه المرة أكثر أهمية، لذلك حضّرت للإضراب بكل عناية، فقد شكلت لجانا من 03 إلى 04 مسؤولين على مستوى الولاية، وهناك لجان فرعية على مستوى المناطق والنواحي في المدن والأحياء، وأولت اهتماما خاصا بالمدن المعنية وحددتها في 26 مدينة، وخلقت أيضا لجانا عمالية للإضراب على مستوى الهيئات الهامة، أما السكان، فقد تمت دعوتهم إلى أخذ الاحتياطات المتعلقة بالتموين لمدة ثمانية أيام، ومن ناحية أخرى جرى الترخيص لمسؤولي لجان الإضراب بتوظيف صندوق التبرعات التابع لج ت و لمساعدة العائلات المحتاجة، التي ليست قادرة على دفع مستحقات اقتناء الحاجيات لهذه المدة[3].

---

1 - محند أكلي بن يونس، سبع سنوات في قلب المعركة حرب الجزائر في فرنسا 1954-1962، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر الجزائر، 2013، ص ص 24-26.

2 -ANOM, 12 CAB, Boite N° 222, Menace de Grève Générale, rapport du 28 Décembre 1956/ Secret.

3- Patrick Kessel, Giovanni Pirelli, Op. Cit, p83.

ينظر أيضا: خالفة معمري، المرجع السابق، ص ص 414-413.

ومهما يقال حول هذه الجزئية، فالمؤكد أن لجنة ت ت حرصت على تحضير وإنجاح مواجهة تكون في مستوى شعب بأكمله ضد الاحتلال، وبما أنه لم يكن من الممكن إخفاء التحضير لمثل هذه المواجهة قامت ج ت و بعمليات تحسيس وتجنيد لم يسبق لها نظير في اتجاه سكان المدن،[1] وقد حملت شهادة زهرة ظريف الكثير من التفاصيل والجزئيات المتعلقة بالتحضيرات على مستوى العاصمة عموما والقصبة على وجه الخصوص خلال أوائل شهر جانفي 1957م، فتحدثت عن مبادرة ياسف سعدي[2] التي وصفتها بالفكرة الرائعة، والقاضية بالاستعانة بالنساء الفنانات، لما يتمتعن به من شعبية كبيرة للقيام بعملية التحسيس والتوعية وإحصاء العائلات المعوزة، وبالفعل، فقد أشرف بمعيتها رفقة علي لابوانت، وجميلة بوحيرد على اجتماع حضرته زهاء 15 فنانة من بينهن فضيلة الدزيرية، حيث جرى تقسيمهنّ إلى فرق تكفلت بالولوج إلى كل البيوت ومحاورة رباتها، كما تم التشديد في ذات اللقاء على عدم الضغط أو التلويح بالتهديد ضد العائلات المترددة أو المشككة[3].

1- خالفة معمري، المرجع السابق، ص 415.

2- ذكر ياسف سعدي في أحدث شهادة له أن بن مهيدي قد اتصل به طالبا منه الشروع في تحسيس كل سكان العاصمة بغرض تجنيدهم لحركة الإضراب المرتقبة، الأمر الذي فاجأه، وبعد تفكيره في الكيفيات التي تسمح بالولوج إلى العائلات وسط الطبيعة المحافظة للأسر الجزائرية، حيث يكون من العسير أن يقوم الرجال بهذا الدور، خطرت بباله فكرة توظيف العنصر النسوي وخاصة فئة الفنانات وبالفعل قام بجمع ما يناهز 40 امرأة في لقاء قصير بالقصبة، حيش شرح لهن المهمة، فكان أن لقيت العملية نجاحا كبيرا. للمزيد ينظر شهادة المعني في الجزء الثاني من حصة خاصة بعنوان "la Batailled'Alger"، بثتها قناة النهار الجزائرية ومتاحة للمشاهدة على الرابط:- www.youtube.com/watch?v=PVHFmCb0Tf0.

3- زهرة ظريف، مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني، ترجمة محمد ساري منشورات الشهاب، الجزائر، 2014م، ص ص 357-356.

كتبت جريدة المقاومة الجزائرية في افتتاحية العدد 05 الصادر في 12 جانفي 1957م، أي قبل موعد انطلاق الحدث بأسبوعين بعنوان: الإضراب العظيم جاء فيها:(يستعد الشعب الجزائري هذه الأيام لشن إضرابه العظيم المعين لموعد عرض القضية الجزائرية على الأمم المتحدة، والذي سيستغرق ثمانية أيام كاملة وسيشمل هذا الإضراب كل ميادين الحياة، وكل طبقات الأمة الجزائرية، وستتوقف فيه حركة التجارة والنقل والفلاحة والتعليم والإدارات التي فيها أغلبية من الجزائريين، وتتوقف المواصلات في داخل المدن وفيما بينها ستتوقف كل حركة في هذا الإضراب إلا حركة الكفاح، وحركة الكفاح هي التي ستنشط وتشتد وتتعزز وأن لهذا الإضراب العظيم أهدافا عظيمة)[1].

بعد طول ترقب، حدد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ تاريخ انطلاق الإضراب في اجتماعهم ليوم 22 جانفي 1957م بعد أن ضبطت الهيئة الدولية رزنامة دورتها، وبعد أن تأكدت الخماسية بأن الدورة ستفتتح يوم 28 جانفي قررت اعتماد هذا التاريخ، غير أن القيادة الثورية فوجئت بتأخير جديد إلى منتصف شهر فيفري، مما جعلها في وضعية لا يمكن معها التدارك، فالترتيبات أخذت، والتعليمات أرسلت والمناشير وزعت فكان من المستحيل التراجع عنها دون حصول خلخلة كبيرة في الإعداد والتنفيذ[2]، مع أن أعضاء اللجنة كانوا يفضلون على ما ذهب إليه دحلب أن يتركوا آخر الشهر يمر، حتى يتيحوا للموظفين والمستأجرين أن يتقاضوا رواتبهم، وهي المسألة التي

1 - المقاومة الجزائرية، العدد 05، 12 جانفي 1957م، ص 1.

2 - سهام بن غليمة، إضراب الثمانية أيام 28 جانفي – 04 فيفري 1957 وانعكاساته على مسار الثورة الجزائرية رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009-2010م ص 52.

حاولت القيادة تداركها لاحقا، بالتركيز على روح التضحية الإرادية، وهو الموقف الذي رآه ذات الشاهد بأنه وبكل بساطة غير معقول[1].

في مقابل استعدادات جبهة التحرير الوطني، قام العدو الفرنسي بالاستعلام حول ضخامة الوسائل المعبأة والإمكانات البشرية التي تم تجهيزها تحضيرا لهذا الرهان الكبير، وقادت المعطيات التي جمعتها الأجهزة الفرنسية المختلفة إلى إعداد قوات كبيرة للتصدي للأمر[2]، وجرى تكليف الجنرال ماسي بمهمة رئيسة تتمثل في تحطيم ج ت و، وإفشال خططها المبرمجة، ويا له من اختيار.

وفي الإفادات التي زودنا بها ياسف سعدي، فإن الاستعدادات الفرنسية لمحاصرة الجزائر الكبرى قد بدأت منذ 20 جانفي 1957م، عبر توزيع مفرزات من الصاعقة التي تلقت أوامر بتغطية كل زاوية وركن في العاصمة، كما سخرت آليات ومصفحات الفرقة الخامسة للمحاربين لمراقبة كل المفترقات، وتم نصب المدافع باتجاه الأحياء العربية، وهكذا صارت المدينة تحت حصار حقيقي[3]، كما وضعت القوات المتواجدة بسهول متيجة والساحل والتي يناهز عددها 100 ألف عسكري بمعداتها الثقيلة في حالة تأهب، تنتظر فقط الأوامر بالزحف عليها[4].

لم تكتف السلطات الاستعمارية بالوسائل العسكرية للتصدي للإضراب المرتقب، بل لجأت إلى توظيف سلاح الدعاية والحرب النفسية، وفي

1 - سعد دحلب، المصدر السابق، ص 46.

2 - BoualemBourouiba,les syndicalistes algériens leur combat de l'éveil à la liberation, l'Harmattant, paris, 1998 , p 280.

3 - YacefSaadi,, pp 10la Bataille d'Alger: l'Affrontement, tome 2, Casbah Editions, Alger,19979-110.

4 - Ibid, pp 120-121.

هذا الباب وبهدف تغليط المواطنين أصدر لاكوست منشورا نسبه إلى جيش وجبهة التحرير الوطني جاء بلغة دارجة، حذر فيه من الاستجابة لدعوات الإضراب، ومما ورد فيه:(يا إخواننا المسلمين ردوا بالكم، حاذروا نفوسكم المستعمرين يحبوا يغلطوكم، ردوا بالكم الحكومة تحاول باش تبطلوا الخدمة وتعملوا لقريف، هذا شيء غير باش يكتشفونا ويقبضونا ويضربونا بضربة قاسية فضيعة اليوم نهار 27 جانفي، لاتتبعوا هذا الأمر المكذوب، إن يومنا لازال لم يحل وقته حاذروا نفوسكم من الناس اللي يدزوكم إلى الغلط، ثقوا بنا نعلموكم في الوقت اللازم، تحيا الجزائر حرة مستقلة)[1].

3- تنفيــذ الإضراب

لقد استفاقت الجزائر عموما والعاصمة خصوصا صبيحة 28 جانفي 1957م على واقع جديد بعد أن أمضت أطول ليلة حيث بات الجميع يترقب، فعلى مستوى المدينة العتيقة أي القصبة فإن غالبية السكان لم تغمض لهم جفون، فالحدث الكبير قد أعلن عنه إنه الإضراب[2]، لقد تم تجميع السكان وخصوصا الرجال منهم مقابل الواجهات الخارجية للمنازل، وأمروا بالوقوف متجهين صوب الجدران رافعين أيديهم فوق رؤوسهم، وأطلقت الكلاب فوق الأسطح لتتبع الأشخاص ونهشهم، وصاحب ذلك إحداث الضجيج الصاخب باستخدام مكبرات الصوت، لتضخيم الأصوات المنبعثة من المروحيات القتالية التي كانت تجوب سماء العاصمة على ارتفاع منخفض لمضاعفة حالة الهلع والخوف، وهي تجربة قد سبق استخدامها في الفيتنام بمثابة سلاح بسيكولوجي[3].

1 - المقاومة الجزائرية، العدد 07، 16 فيفري 1957م، ص 3.

2 - YacefSaadi, Op.Cit, pp 120-121.

3- Yacef Saadi, Op.Cit, pp 122-123.

يعرض سعد دحلب صورة مدينة الجزائر في أول أيام الإضراب فيكتب عن الهيجان الذي أصاب المظليين الذين تحولوا إلى وحوش مسعورة، بحيث كانوا يقتحمون بيوت المسلمين بيتا بيتا، ثم يقومون بسحب المتواجدين بها وتكديسهم في الشاحنات فوق بعضهم البعض، تحت وابل من الضربات بأعقاب البنادق والعصي والأرجل، ثم يجري تحويلهم باتجاهات مختلفة نحو أي مصلحة أو مكان عمل ووسط ذلك الصمت الرهيب الذي سيطر على المدينة أصبحت حمى المظليين جحيما لا يطاق[1].

لقد امتدت حمى الإضراب إلى داخل القلاع التي اعتقدت فرنسا أنها نجحت في فصلها عن حاضنتها الشعبية والثورية، فقد عاشت الكثير من المعتقلات وتفاعلت مع حدث الإضراب بالرغم من ظروف الاعتقال وفي هذا الإطار نلقي نظرة على الحركة الاضرابية بمعتقل الجرف بإقليم أولاد دراج بالمسيلة، حيث أن هذا الأخير قد عرف وافدين جدد، كانوا ضحايا حملة التوقيفات والاعتقالات التي دشنتها السلطات الفرنسية في سياق مخططها لإفشال الإضراب، وبوصول هؤلاء انتقلت أخبار الحدث والتي تدعمت بالأخبار المنشورة على صدر الجرائد التي تسربت واحدة منها إلى المعتقلين، حيث دخلت كلفافة لبعض المواد، وبدخول المعتقلين في اتصالات مع قيادة الثورة في المنطقة والتأكد من حقيقة الأمر، قامت مندوبية ج ت و داخل المعتقل بتوجيه أمر المشاركة للنزلاء، حيث التزم هؤلاء بعد خضوعهم لإجراء المناداة اليومي بعدم القيام بأي نشاط اعتادوا عليه سابقا، وهي السلوكات التي استرعت انتباه الإدارة التي كتبت تقارير عديدة أرسلت إلى السلطات العليا

- ينظر أيضا: زهرة ظريف، المصدر السابق، ص 361. و Alistair Horne, Op.Cit, p198. -

1 - سعد دحلب، المصدر السابق، ص ص 50-51.

تتحدث عن التزام المعتقلين الكامل بالإضراب[1].

4- الاضراب في التناول الإعلامي

حظي إضراب الثمانية أيام بتغطية إعلامية هامة من قبل مراسلي الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية والفرنسية، وفي هذا الصدد نشرت برقية لوكالة "أسوشيتد بريس" الأمريكية بقلم مراسلها في الجزائر يصف مشاهداته خلال جولة قادته لأحياء العاصمة في اليوم الأول: (إنني لم أشاهد كامل نهار أمس أثناء تجولاتي صحبة الدوريات العسكرية بمختلف أنهج القصبة سوى جماعات القطط الجائعة التي تتسابق لاستقبال الجنود وهي تموء، إنني لم أر في حياتي مدينة يخيم عليها شبح الموت في وضح النهار كمثل القصبة في إقفار شوارعها ورهبة السكون العميق النازل على دورها، حتى لكأن سكانها في نومة كهفية)[2].

وغطت الصحافة الفرنسية الحدث، فصحيفة لوموند le Monde وتحت عنوان " المدينة الصامتة في اليوم الأول من الإضراب العظيم"، تحدث مراسلها بالجزائر عن الانخراط القوي في الحركة، وعلّق على الممارسات التي قام بها الأوربيون المتمثلة في عمليات النهب، فرأى بذلك أن هؤلاء كانوا بفعلتهم تلك يطبقون دروس الأخلاق الاستعمارية التي تعلموها أكثر من قرن[3].

ونقلت من جهتها وكالة رويتر البريطانية صورة الحدث حيث ذكرت أن 90% من الحوانيت في المدن الرئيسة في الجزائر كانت مغلقة، وأن حوالي 70% من الموظفين الذين ليسوا من الفرنسيين لم يذهبوا إلى أعمالهم،

1 - خميسي سعدي، معتقل الجرف بالمسيلة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، ط1، دار الأكاديمية، الجزائر،2013، ص ص 194-195.

2 - المقاومة الجزائرية، العدد 07، 16 فيفري 1957م، ص 3.

3 - المصدر نفسه، ص 5.

وتشهد العاصمة والأحياء العربية على غرار القصبة انتشارا أمنيا وعسكريا كبيرا، فيما غطت سماء المدينة عشرات الطائرات العمودية التي قامت بإلقاء المناشير تدعوا من خلالها السكان إلى عدم الاستجابة لنداء الإضراب، وتحدثت الوكالة على أن الإضراب كان وطنيا امتد من مغنية بالحدود الغربية إلى تبسة على الحدود الشرقية، وأن الالتزام به كان شاملا على مستوى المدن كما في الأرياف [1].

ومن المناظر التي استوقفت أحد صحفيي جريدة "التايم Time" الذي كان يرافق الجنود الفرنسيين بحي القصبة، وأثارت فيه حالة من الضحك لافتة ألصقها أحد التجار على باب متجره المغلق وقد كتب عليها" مصطفى بن عبد القادر توفي، ولن يفتح دكانه حتى إشعار جديد"، وهي عبارة تهكمية اعتبرها مراسل الصحيفة مزاحا رائعا يسود سكان يسيطر عليهم القلق والاضطراب[2].

ومن الصور التي تبرز السلوكيات اللصوصية للكولون وجنود الجيش الفرنسي ما وقع مثلا في مدينة قسنطينة، حيث أضطر المبشرون المسيحيون (الآباء البيض) إلى المبادرة بحراسة بعض محلات الجزائريين التي فتحتها السلطات الفرنسية بالقوة، بغرض حمايتها من أعمال السلب والنهب، وقد أثارت هذه الوضعية استياء رئيس أساقفة الجزائر"دوفال"، الذي أصدر نداء يجرم فيه استعمال العنف ويندد بكل السلوكيات والأعمال التي لا تليق بالضمير والحضارة المسيحية [3].

1 - المقاومة الجزائرية، العدد 07، 16 فيفري 1957م، ص 11.

2 - Jacques Le Prevost, La Bataille d'Alger (Janvier – Février 1957), Editions Baconnier Alger, 1957, p 54.

3 - المقاومة الجزائرية، العدد 07، 16 فيفري 1957م، ص 6.

وتناولت التغطية الصحف العربية، ومن ذلك جريدة "الأهرام" المصرية، التي رأت بأن الإضراب يعتبر دعوة صارخة إلى الأمم المتحدة لوضع حد للحرب المدمرة، ونداء للوقوف أمام الأساليب الاستعمارية القائمة في الجزائر[1]، وتعليقا على فشل السلطات الفرنسية في إحباط الإضراب، كتبت "جريدة الصباح" التونسية في افتتاحيتها تقول:" فقدت السلطات الفرنسية الأمل في تحطيم الإضراب بعدما استعملت جميع الوسائل لمنع حصوله ...إن الشعب الذي تجلت فيه صفات الصمود والاستبسال في أروع مظاهرها لن يجد صعوبة في الوقوف ثمانية أيام ساخرا ينظر إلى المستعمرين وهم يضغطون على زناد السلاح تارة ويعرضون الحلوى تارة أخرى، ويعزفون الألحان العسكرية طورا ويرقصون غضبا وحنقا طورا آخر[2].

وخارج الوطن وعلى مستوى فرنسا حيث تتواجد الجالية الجزائرية، فقد رافق حملة التحضيرات والاستعدادات الكثير من اللغط والتوتر وسط حالة الصراع بين الإخوة الأعداء، ومع ذلك، فإن تحركات الجبهويين لضمان النشر الواسع للمعلومة وتطوير الدعاية، بتوزيع المناشير والبيانات، وتوجيه طلبات إلى الديمقراطيين الفرنسيين للقيام بفضح سياسة الحكومة الفرنسية تجاه الجزائر، ظهرت ثمارها جلية، حيث قدرت نسبة الاستجابة للإضراب من طرف السلطات الفرنسية بـ 40% بمقاطعة باريس وضواحيها خلال اليوم الأول، بينما وصلت في اليوم الثاني إلى 70%، وهي دليل قاطع على قوة الاستجابة، وعلى مدى تأثير ج ت و ومن خلفها إ ع ع ج في أوساط العمال والتجار بفرنسا، رغم عدم وجود خلايا تنظيمية لهذا التنظيم النقابي

1 - صالح لميش، "الثورة الجزائرية في الإعلام العربي:مصر أنموذجا"، مجلة المصادر، العدد 10،السداسي الثاني2004، ص93.

2 - المقاومة الجزائرية، العدد 07، 16 فيفري 1957م، ص 8.

هناك[1].

5- صدى الاضراب عربيا ودوليا.

لعل من المحطات المفصلية التي تركت بصماتها ملموسة في تاريخ الثورة التحريرية حدث الإضراب الشامل، ليس فقط من حيث الخصوصيات التي تميز بها، ولا من حيث الأصداء المباشرة والنتائج الظرفية التي خلفها، ولكن أيضا على مستوى ارتداداته البعيدة المدى والتقييمات المتابينة التي أعطيت له، علاوة على الروح النقدية والشجاعة التي وسمت المواقف البعدية لمهندسيه.

كانت أصداء الإضراب حاضرة على المستوى العربي والدولي وداخل منظومة الاحتلال أيضا، فمن مظاهر التضامن الشعبية والرسمية التي شهدتها الساحة العربية، نسجل تلك الوقفة التضامنية للشعب المصري حيث تم توقيف الدوام في المصالح الحكومية والشركات والمؤسسات والمحلات التجارية، وتوقفت حركة القطارات والسيارات في كل المحافظات والأقاليم المصرية لمدة يوم واحد[2]، كما أذاعت محطة صوت العرب بلاغا موجها من ج ت وبالقاهرة إلى الشعب الجزائري يمجد فيه موقفه الرائع في تنفيذ نداء الإضراب، وقام شيخ الأزهر بإرسال برقية تأييد إلى وفد الجبهة بالقاهرة باسمه وباسم علماء الأزهر وطلبته، كما طلب في نداء وجهه لجميع الشعوب المحبة للسلام أن تناصر قضية الجزائر، وأعلن عن إضراب الأزهر يوم الخميس 31

1- خلوفي بغداد، الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954-1962م، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2014-2015م، ص ص 253-254.

2- عمار بن سلطان وآخرون، الدعم العربي للثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007، ص 188.

جانفي 1957م تضامنا مع الشعب الجزائري المجاهد، والملاحظ أن المدرسين قد خصصوا الدرس الأول من يوم الخميس لشرح القضية الجزائرية للطلبة.[1]

وفي تونس، عاشت البلاد يوم الأربعاء 30 جانفي 1957م إضرابا عاما إلى منتصف النهار تضامنا مع الشعب الجزائري واستجابة لنداء المنظمات القومية ممثلة في الحزب الحر الدستوري التونسي والاتحاد العام التونسي للشغل، والاتحاد العام التونسي للصناعة والتجارة والاتحاد القومي للمزارعين.

وفي دمشق، عقدت لجنة الاتصال للشعب العربي يوم الثلاثاء 29 جانفي 1957م اجتماعا بالعاصمة السورية، بحثت فيه تطورات الموقف الدولي والأحداث الجارية في الجزائر، وقررت الإضراب العام في جميع أجزاء الوطن السوري بداية من الساعة الواحدة إلى الثانية بعد ظهر الخميس 31 جانفي تضامنا مع الجزائر، وقد بعث رئيس اللجنة السيد معروف الدوالبي برقية إلى سكرتير الأمم المتحدة، يطلب منه التدخل لفائدة القضية الجزائرية، كما وجه نداءات إلى جميع الشعوب العربية يحثها على بذل مزيد من الإعانة للجزائريين.

وفي الرباط، أعلنت المنظمات القومية بالمغرب الأقصى إضرابا عاما رمزيا لمدة ساعة من الخامسة إلى السادسة يوم الخميس 31 جانفي تأييدا لكفاح الجزائر في سبيل تحريرها وتقرير مصيرها بنفسها، وقد استجابت أغلب شرائح الشعب المغربي لهذا النداء بشكل كامل، حيث أغلقت جميع المتاجر، وتعطلت حركة السيارات ووسائل النقل الجماعي والمقاهي، وفي مدينة تطوان، نظمت جمعية نساء المدينة مهرجانا كبيرا حضره جمع كبير من النساء المغربيات بمشاركة فرع النساء الجزائريات التابع لجيش التحرير

1 - المقاومة الجزائرية، العدد 07، 16 فيفري 1957م، ص 8.

الوطني بطنجة، وألقيت في الحفل خطب حماسية تأييدا للثورة، كما أرسلت الجمعية المذكورة برقية مساندة للقضية الجزائرية، وجهت إلى الأمين العام للهيئة الأممية، وشكلت لجانا لجمع التبرعات لفائدة الجزائر[1].

ومن القضايا المهمة أن حضور الإعلام الأجنبي من خلال مراسلي الصحف المختلفة ومبعوثي وكالات الأنباء بالجزائر، قد ساهم في نقل صورة حقيقية عن مجريات الإضراب للرأي العام العالمي، وعن الأساليب القمعية التي تستخدمها السلطات الفرنسية لإفشال هذه العملية، وفي هذا الصدد يمكننا أخذ عينات من مواقف الصحف الأجنبية والفرنسية التي شغلها الحدث وسلطت أضواءها على مناقشة القضية الجزائرية بالمحفل الأممي، فهذه مجلة "ذي سكوتشن" البريطانية كتبت (لكي يتحقق السلم في الجزائر يجب إرضاء المطامح الوطنية فيها، وذلك سواء برضا فرنسا، أو بالرغم عنها وهي كارهة، أما توقيف الحرب وإجراء انتخابات والبحث عن دستور مقبل للجزائر يمكن أن يرضي المسلمين الجزائريين، فإنها لا يمكن أن تتحقق إلا بواسطة مفاوضات تجري مع الثوار، وبالاعتراف بالقومية الجزائرية)[2].

كان من النتائج اللافتة والتي مثلت رهان جبهة التحرير، قيام هيئة الأمم المتحدة بمناقشة القضية الجزائرية في جمعيتها العامة في 15 فيفري 1957م أي بعد 11 يوما من توقف الإضراب، ولكنها كانت تحت تأثير التغطية الإعلامية له وبنجاحه رغم موقف فرنسا السلبي، ووافقت الجمعية العامة على لائحة تعبر فيها عن أملها في إيجاد حل سلمي وديمقراطي وعادل للقضية الجزائرية طبقا لميثاق الأمم المتحدة والتعاون بين الأطراف وبوسائل مناسبة،

1 - المقاومة الجزائرية، العدد 07، 16 فيفري 1957م، ص 8.

2 - عبد الله شريط، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1957، ج1، ط1، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت، ص 59.

وهذا معناه تدويل القضية الجزائرية وهذا ما كان يرمي إليه الإضراب[1] فلقد أعد خصيصا من أجل هذه المداولة، ويقول سعد دحلب عن هذا المكسب المحقق بالهيئة الدولية بأن قيادة الثورة ومن ورائها الشعب الجزائري لم تكن ننتظر أن يأتي التحرير من قاعات الاجتماع في نيويورك، ولكن باعتراف العالم كله ضمنيا بأن الجزائر لم تكن مقاطعة فرنسية كما كانت تدافع عنه الدولة المحتلة وحلفاؤها وبأنها كانت بلدا متميزا يجب العثور له على حل مطابق لميثاق الأمم المتحدة، الشيء الذي يعني الحق في تقرير المصير، فهذا المكسب جاء نتيجة لإضراب الثمانية أيام الذي أجاد ممثلو ج ت و بنيويورك استغلاله والاستفادة منه[2].

6- الاضراب بين رؤيتين

كانت الثقة بالنصر والمعاينة اليومية لتأصل ج ت والسياسي والإداري، ونجاح المنظمات النقابية والاقتصادية عوامل دفعت بالشعب إلى أن يثبت للملأ فيما هو يدلل على تعلقه بأهداف الثورة، أنه شعب متجانس منظم، لقد أكد نجاح الإضراب ما لجبهة التحرير من مكانة بالجزائر، وما لكلماتها من وقع في نفوس الجماهير، وكرّسها بذلك ممثلة عنه على ملأ من الرأي العام الدولي[3]، وبالنسبة لجريدة المجاهد فإن الإضراب كان بمثابة منعطف حاسم للثورة وبالرغم من كل الوسائل القمعية فقد شكّل فوزا سياسيا[4].

1 - زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962م، ط1، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 40.

2- سعد دحلب، المصدر السابق، ص 65. ينظر أيضا: محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 117.

3- محمد بجاوي، المصدر السابق، ص 90.

4 - محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 117.

من المواقف التي جنحت إلى الإشادة بالعملية ما صدر عن بعض قيادات الثورة ولاسيما أعضاء الخماسية أنفسهم الذين بادروا بإعلان هذا التحدي، فابن خدة يرى أن هذا الإضراب جدير لوحده بأن يؤلف بشأنه كتاب، معتبرا ما حدث بأنه يدخل ضمن العمليات النادرة ذات البعد الوطني التي شهدها الشعب الجزائري[1].

وبالنسبة لسعد دحلب، فإن محطة 28 جانفي- 4 فيفري 1957م قد أظهرت أن الشعب الجزائري مجنّد بالإجماع خلف الجبهة، فكل طبقات السكان من موظفين وتلامذة المدارس وتجار وعمال بسطاء ومستخدمين تظاهروا تعلقا بفكرة الاستقلال، وهم محاطين بأعظم جهاز بوليسي وعسكري يمكن تصوره[2].

أما عبان رمضان، فقد رأى من جهته من خلال وثيقة مؤرخة في 24 أفريل 1957م، بأن الإضراب قد ساهم في تعزيز الوحدة الوطنية والقومية والثورية ضد الاحتلال، وكشف همجية جنود ماسي التي ستظل وصمة عار في جبين فرنسا،[3] وفي تقديره، فإن الثورة الجزائرية قد واصلت تقدمها بدون أي ضعف نحو النصر الأكيد، مع تشديده على أن الشعب الجزائري لم يسبق له وأن عبر بهذا الوضوح عن تأييده وتزكيته لجبهة التحرير الوطني منذ اندلاع الثورة[4]، وتظهر الروح المتفائلة التي طبعت سلوك عبان في ذات الوثيقة بحديثه على أن الشعب الجزائري لن يستسلم للخوف والملل، وسيظل وراء ج ت و لمواصلة نضاله الحازم من أجل استقلال هذا البلد الشهيد، وإذا كان

1 - خالفة معمري، المرجع السابق، ص 424.

2- شارل أنري فافرود، الثورة الجزائرية، ترجمة كابوية عبد الرحمن وسالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010م، ص 426.

3- عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 268.

4- خالفة معمري، المرجع السابق، ص 425.

ما حصل يبدو محبطا، فإن الحكمة تقول: " إن الضربة تكسر الزجاج، ولكنها تصقل الفولاذ "[1].

ومن جهته، يعتبر محمد لبجاوي وقد كان على رأس فدرالية ج ت وبفرنسا أثناء الأحداث أن الإضراب يمثل مرحلة هامة في الكفاح الوطني، فهو لوحده يستحق العديد من الإصدارات، وهو يشكل عقدا وطنيا غير مسبوق خلال كامل تاريخ الجزائر[2].

أما بالنسبة لقيادة ج ت و، فإن تقييم الإضراب يجب أن ينظر إليه من زاويتين، زاوية الانعكاسات السلبية المباشرة، وزاوية المكاسب المحققة على المدى الطويل، وهنا مربط الفرس، حيث يتعين إدراج النتائج على صعيد أوسع وغير فوري، ذلك أن مقتضيات الثورة ليست هي نفسها مقتضيات الاحتلال، فالذي كان يهم الجبهة هو تجنيد الشعب بأسره وراءها، ولفت أنظار الرأي العام العالمي حول عدالة وعمق نضالها وأخيرا انتزاعها استقلال الجزائر مهما طال الزمن، ومهما كانت جسامة التضحيات.

وتبعا لهذا التصور، فإن العديد من الفاعلين والدارسين قد أجمعوا على أن الإضراب قد حقق الكثير من النقاط الايجابية حتى ولو كان ثمنه غاليا، ويمكننا رصد تلك الجوانب في العناصر الآتية:

- تأكيد التمثيلية الحصرية لجبهة التحرير الوطني.
- فشل كل محاولات خلق القوة الثالثة.
- تزكية الشعب وجماهير المدن بصفة خاصة لمطالب الاستقلال.
- تخريب أسس الثقة والتعاون بين المناضلين وغلاة الاستعمار.

1 - خالفة معمري، المرجع السابق، ص 426.

2 - BoualemBourouiba, Op-Cit, p 283.

- تجميد قوة عسكرية هائلة مكونة من 10.000 مظلي يمثلون القوة الضاربة في الجيش الفرنسي لمدة تسعة أشهر بالعاصمة، مما خفف الضغط إلى حد ما على الولايات وعلى الحدود[1].

- تعزيز وحدة الشعب الجزائري في محنته وصموده للقمع الذي كان يرتكب بدون أي تمييز ضد المثقف والعامل والبطال[2]، فقد حقق إضراب الثمانية أيام بحسب الفاعلين نتيجة هامة وهي اندماج البرجوازية الحضرية في الثورة التي كان ينهض بها حتى ذلك الوقت سكان الريف والطبقة المحرومة ذلك أن القمع الوحشي قد قضى على أية إمكانية لبروز القوة الثالثة أو بقاء قنوات الاتصال مع الجزائريين[3].

- لقد كان من النتائج البعيدة المدى لإضراب الثمانية أيام، وفقا لعضوين من ل ت ت وهما بن خدة ودحلب تلك المظاهرات الشعبية الضخمة لشهر ديسمبر 1960م، حيث بيّنت بعد ثلاث سنوات أن المظليين قد خسروا حقا المعركة، ليس في العاصمة وحدها فحسب بل وفي الجزائر كلها، وأن مساهمتهم في تحطيم أسس الجزائر الفرنسية لا يعادلها نظير غير ذلك الذي قامت به المنظمة السرية الإرهابية بعد وقف إطلاق النار[4].

- النجاح وبصفة نهائية في القضاء على فكرة المائدة المستديرة، حيث أن الطرف الفرنسي كان يراهن على تمييع القضية، بإشراك أطراف عديدة على غرار الحركة المصالية والشيوعيين والمستقلين.

1- Hassan Remaoun, « La Grève des huit jours (28 janvier – 4 février 1957) : La vision des dirigeants du FLN, in « L'évènement dans l'histoire récente de l'Algérie (1954-1962), université du 20 aout 1955 skikda, éditions CRASC, p159.

2 - خالفة معمري، المرجع السابق، ص 424.

3 - عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 270.

4- سعد دحلب، المصدر السابق، ص 51.

- انتشار الشعور بالخوف الحاد الممزوج بالرعب في أوساط الفرنسيين بعد أن شاهدوا الشعب الجزائري منضبطا ومنفذا لأوامر ج ت و، وفهم هؤلاء الفرنسيون الذين فروا من الريف أن المدينة لم تصبح هي الأخرى معقلا آمنا، وقد تطور هذا الشعور بتطور الحرب وساهم في اتساع الهوة مع الجزائريين[1].

- تدعيم صفوف جيش التحرير الوطني بالتحاق آلاف الشبان الجزائريين من ذوي المعارف والتكوين السياسي بوحداته المقاتلة فرارا من الاضطهاد والقمع، مما ساعد في تنظيم مصالحه فصار يتمتع بالكثير من المواصفات التي كانت تعوزه من قبل، كما سجل ابتداء من هذه الفترة توافد النساء على الجبل.[2]

- حققت الأعمال الوحشية المقترفة خلال معركة الجزائر نتائج مغايرة تماما لتلك التي خطط لها كل من غي مولي، ولاكوست، وماسي، وصالان، فقد ذاع صيت جبهة التحرير الوطني على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتم التشهير بفرنسا بسبب ما ارتكبه جيشها من جرائم لا تغتفر[3].

- كشف المناورة التي حاولت النقابة الموالية لمصالي أن تعاكس بها الإضراب، فانكشف أمرها وباءت بالفشل، وقد اتضحت الرؤية إثر ذلك أمام المناضلين ولاسيما بفرنسا، مما أدى إلى الانضمام إلى الجبهة بصفة جماعية، وفقدان الحركة المصالية لحضورها على الساحة الدولية[4]، ويؤكد ذلك عمر بوداود الذي قاد الفدرالية لمدة خمس سنوات (1957-1962م) عندما أشار إلى أن إضراب الثمانية أيام هو الذي وضح بشكل جلي للمهاجرين الجزائريين الجهة

1- بن يوسف بن خدة، الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957م، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005م، ص 95.

2- سعد دحلب، المصدر السابق، ص 61. ينظر أيضا: بن يوسف بن خدة، الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957م، مصدر سابق ص 95.

3 - بن يوسف بن خدة، الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957م، مصدر سابق، ص 93.

4 -BoualemBourouiba, Op-Cit, p 283.

التي تقود الثورة التحريرية فعلا وهي جبهة التحرير الوطني، لاسيما وأن هؤلاء عاشوا أشهرا من الغموض وسط ادعاء المصاليين بأنهم يقفون وراء التفجير المسلح، إلى أن جاءت مناسبة الإضراب العام لتكشف القناع أمام الجالية بعدما التزمت الغالبية الساحقة بأسبوع الإضراب،[1] ويشاطره الرأي أيضا القيادي بن يوسف بن خدة حينما صرح:(لقد غررت الدعايات الزائفة بإخواننا المهاجرين، فجاء إضراب الثمانية أيام ليفتح لهم أبصارهم ويضع الحقيقة ناصعة أمامهم، ولم يخدعهم الموقف الاستعراضي الذي دعت إليه الحركة الوطنية المصالية للقيام بإضراب لمدة أربعا وعشرين ساعة وعليه فإننا سنرى ابتداء من هذا التاريخ بأن الهجرة الجزائرية بدأت تلتف حول ج ت و)[2].

- من التأثيرات التي أحدثتها المواجهة بين جبهة التحرير الوطني والمظليين تحطيم التيار الليبيرالي وإسكات الأصوات المعتدلة لهذه المرحلة، كما أدت إلى ارتفاع وتيرة النقاش الدائر حول التعذيب، الذي بدأ الحديث عنه سنة1955م مع مقال لفرنسوا موریاك François Mauriac بجريدة l'Express حيث أصبح قضية الرأي العام وفي صلب اهتمام النقابات والكنائس وأدى إلى انقسام العائلات حيث رأى الجميع أن فرنسا قد أضاعت شرفها وتجاوزت الحدود السياسية المعهودة لقد أضحت أزمة كبيرة داخل المجتمع الفرنسي[3].

1- عمر بوداود، تعقيب في " الملتقى الوطني الأول لتاريخ الثورة 28-31 أكتوبر 1981"، مجلة أول نوفمبر، العدد 57 الجزائر، 1982 ص52.

2- بن يوسف بن خدة، حوار مع عبد الحميد السقاي والزبير بوشلاغم، المرجع السابق، ص14.

3 -Benjamin Stora," la Bataille d'Alger ", Site: www.lexpress.fr/politique/462144.html Consulté le 11/09/2014.

- انتشار الوعي في أوساط الجزائريين المنخرطين في صفوف الجيش الفرنسي وخاصة منهم الضباط الذين وجّه 52 منهم في نفس الشهر رسالة إلى رئيس الجمهورية وقتها روني كوتي، جاء فيها (إذا لم تعمل السياسة الفرنسية على إيجاد حل عادل للقضية الجزائرية، فإنه لم يعد لدينا من الوسائل ولا من الحجج المقبولة ما يبرر مهمتنا في صفوف الجيش الفرنسي)، غير السلطات الفرنسية لم تأخذ كتابهم بعين الاعتبار، واعتبرت مبادرتهم خروجا عن القوانين العسكرية يستحقون عليها التوبيخ والعقاب، فدفع بمجموعة أولى في شهر سبتمبر 1957م إلى تقديم استقالتها[1].

لقد أوجز بن خدة تقييمه للإضراب بالقول: (أنه بالرغم من الخسائر البشرية والمادية الناجمة عن إضراب الثمانية أيام، فقد كان انجازا إيجابيا دفع قضية الثورة الجزائرية إلى الأمام، وكان الإضراب كارثة عسكرية، لكنه كان نصرا سياسيا ونفسيا وضع فرنسا في وضعية حرجة أمام حلفائها وأمام الرأي العام الدولي، وهو من هذا المنظور كان مؤشرا صريحا سلط الضوء على نوع الرهانات وكشف الغايات الاستراتيجية للصراع)[2].

ورأى سعد دحلب بأن إضراب الثمانية أيام قد عزف اللحن الجنائزي على الجزائر الفرنسية بأن ساعتها الأخيرة قد حانت، ووضع قادة الاحتلال في أكبر كمين لم ينصب قط من قبل لكل الوجود الفرنسي[3].

إن تغني البعض بالحصاد الايجابي الذي حققه الإضراب في حدود معينة، لم يكن ليخفي تلك النتائج السلبية البالغة التأثير في مسيرة الثورة،

1- محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص177-178.

2- بن يوسف بن خدة، الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957م، مصدر سابق، ص 101.

3- سعد دحلب، المصدر السابق، ص ص61-64.

ولا أن يخفت تلك الأصوات التي تعالت على قلتها منتقدة ومستهجنة هذه المبادرة، وبعيدا عن المكابرة أو إدخال الرأس في الرمال، كان لزاما إجراء تقييم موضوعي لهذه الخطوة حتى وإن كانت الأحكام التي ستصدر ستبقى رؤى شخصية قد لا ترقى إلى فهم روح الحدث في حينه، ثم على المرء أن يعي أولا وأخيرا بأن الفعل الثوري ليس عملية رياضية محققة النجاح سلفا تقتضي الإقدام، ولا خطوة صوب العالم المجهول تستوجب الإحجام.

فخارج معسكر لجنة التنسيق والتنفيذ، ارتفعت الأصوات المنتقدة للخطوة ومن ذلك ما ذهب إليه المؤرخ محمد حربي من أن امتحان القوة الذي بدأ في جانفي 1957م بإضراب الثمانية أيام هدف إلى جعل الجزائر بلدا ميتا سياسيا، وساقه إلى ذلك الاعتقاد الخاطئ بإمكانية الوصول إلى ثورة معممة، وهو ما يعبر عن فرط ثقة في إمكانات انتصار سريع، فلقد تسببت ضخامة الوسائل التي استخدمها الجيش الفرنسي آنذاك لتحطيم ج ت و في الجزائر العاصمة بأضرار كبيرة، حيث أدت إلى تفكيك الجهاز البوليسي والعسكري واحتلال القصبة، وتعرض الشرائح الاجتماعية الميسورة وتلك الفقيرة إلى قمع واسع النطاق كانت الضريبة التي دفعتها كل الطبقات المدينية في معركة الجزائر ثقيلة للغاية[1]، وفي رؤية تتقاطع مع الموقف السالف عبّر أحد الباحثين الأجانب الذي لا يمكن أن نعتبر تحليلاته متحاملة، على أن جبهة التحرير الوطني وعبر لجوئها إلى هذا الخيار الخطير، قد ارتكبت الغلطة التكتيكية العظمى في كل مسيرتها الثورية[2].

ومن المواقف الحادة المنتقدة بشدة لهذا القرار، يستوقفنا ذلك الموقف المتميز الذي عبّر عنه أحد إطارات الولاية الرابعة بوشمعة لخضر في رسالة

1- محمد حربي، المصدر السابق، ص167.

2 -Alistair Horne, Op .Cit, p198.

موجهة إلى الحكومة المؤقتة مؤرخة في 22 مارس 1960م وجّه من خلالها اتهامات صريحة لقيادة ج ت و بالخارج، متهما إياها بالتقصير والانتفاعية وإهمال الواجبات المقدسة الملقاة على عاتقها، وعدم الالتفات إلى معاناة الجماهير في الداخل، وذكر الجميع ببعض القرارات التي تم اتخاذها دون دراسة جدوى موضوعية أو التنبه إلى مخاطرها، ومن ذلك قرار إضراب الثمانية أيام والذي قال بشأنه: (من الأحداث والقرارات المؤسفة التي انعكست على مجرى كفاحنا ما كان في سنة 1956م عندما تلقى الشعب والمجاهدون بنوع من الذهول التعليمات الأولى المتعلقة بإضراب الأيام الثمانية، لقد ظهرت علامات الفشل منذ الأيام الأولى للإضراب، وتخلى المضربون عن تعليمات القيادة وجاءت نهاية الإضراب لتكرّس الهزيمة السياسية والنفسية وحل معظم تنظيماتنا عبر الجزائر كلها والعاصمة خاصة، الأمر الذي انتزع من حظوظ دعم وتيرة الكفاح بالدرجة التي تجبر فرنسا على التفاوض، مما جعل العدو يتعنت في مواقفه والنزاع يطول...إن المسؤوليات لم تحدد أبدا، بل أن المسؤولين المعنيين بتلك الأخطاء تحصلوا على مزيد من الترقية)[1].

ومن جهتها لم تتأخر الحركة الوطنية الجزائريةMNA المنافس العنيد للجبهة في صب جام غضبها على قيادة الثورة وهذا موقف طبيعي، حيث الرغبة في ركوب القاطرة من جديد تحرك مسييريها الذين تجاوزتهم الأحداث، فقد جاء في الحصيلة التي أصدرتها الحركة المصالية مطلع سنة 1958م، والمتعلقة بأحداث الثلاثي الأول لسنة 1957م ومنها الشق المتعلق بإضراب الثمانية أيام، رأت بأن الإضراب سلاح ذو حدين، فإذا سيّر بعقلانية وبطريقة

1 - لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ص ص 322-323.

ناجحة فإنه يقدم نتائج رائعة، ويمنح في الوقت ذاته انتصارات ميدانية، ولكن إذا حصل العكس ونفّذ بكيفية خاطئة أو بطريقة يائسة، فيتحول إلى حالة تجرح الشعب في العمق، وهكذا في تصور هذا التنظيم، فإن ج ت و قد قامت بحركة استعراضية ودفعت الشعب الجزائري إلى سلسلة من الإضرابات الفئوية والقطاعية ومنعت قراءة الجرائد الفرنسية، وهي بذلك قد عملت على تحطيم الشعب ودفعه إلى اليأس وأن قادتها البعيدون عن واقع الجماهير قد تجاهلوا فقر مواطنيهم، وأن لجؤهم إلى هذا الخيار كان مغامرة بكل المقاييس للتغطية على فشلهم السياسي والتكتيكي وللإيهام بموقع القوة. ويرى أصحاب هذا التقرير أن الجبهة وعبر إعلانها المسبق وبمدة زمنية طويلة بلغت الشهر، قد مكنت الخصم من أن يستعد جيدا لسحق الحركة مما يظهر لا مسؤولية قادتها[1].

بالنسبة للمبادرين به أي أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، فقد كان لا مناص من الإقرار بالنتائج السلبية والآثار المدمرة التي ترتبت عن هذا القرار، إذ بالفعل بلغت الخسائر درجات هائلة وتعطلت الأنشطة في المدن وبالخصوص في العاصمة، وفي هذا الشأن صرح بن يوسف بن خدة بأن الإضراب غير الوضع كليا، فبعد 48 ساعة من انطلاقه فقدنا روح المبادرة في العاصمة التي تم قلبها رأسا على عقب بسبب التجاوزات الغاشمة للفرقة العاشرة للمظليين بقيادة الجنرال ماسي، وبسبب المرتزقة التابعين لبيجارو غودار وأمثالهم وأحيط السكان والمناضلين القلائل الباقين داخل المدينة بمراقبة بوليسية وعسكرية محكمة[2].

1 - Mohamed Harbi, Les Archives de la Révolution algérienne, les editions jeune afrique paris,1981, pp 143-144.

2 - محفوظ قداش، المصدر السابق، ص116.

ففي خضم الحركة الإضرابية ووسط موجة القمع الرهيبة كانت جبهة التحرير الوطني بحسب بن خدة مشغولة بما هو أدهى وأمر، فعندما وصل الإضراب إلى منتصف الطريق طرأت صعوبات لم تكن في حسبان لجنة التنسيق والتنفيذ، حيث تساقط المئات من الإطارات والمناضلين بفعل التوقيفات العشوائية، أو كانوا ضحايا الوشاية تحت وطأة التعذيب، مما أحدث في نسيج التنظيم ثغرات يعتبر سدها ضربا من المستحيل فتعطلت الاتصالات بين المسؤولين، وعزلت الشبكات، لكن ما يجب الوقوف عنده تنويها وإكبارا، هو تلك الروح المعنوية العالية والصلابة وعدم الاستسلام التي تحلى بها غالبية المناضلين[1].

ويمضي بن خدة في سياق الانتقادات الذاتية إلى الاعتراف أكثر بالآثار المدمرة للإضراب فيكتب بكل شجاعة، على أنه لا مفر من الاعتراف بكل تواضع بأن إضراب الثمانية أيام كان خطأ استراتيجيا ارتكبته لجنة التنسيق والتنفيذ، حيث أدى إلى خسارة العاصمة كمقر لقيادة الثورة، وتفكيك الهيكلة التنظيمية الخاصة بها، وأدى إلى خروج اللجنة من التراب الوطني، وتبعها في ذلك الهياكل المركزية لجيش وجبهة التحرير الوطني، وأدت هذه الهجرة إلى تطورات سريعة ساهمت في اختلال التوازن الداخلي لأجهزة الثورة نفسها.[2]

وبالنسبة لزميله سعد دحلب، فإن التنظيم السياسي لج ت و، قد عانى الكثير بل تم تحطيمه كلية في بعض الأحياء والمدن، كما لقي الآلاف من الجزائريين ومن بينهم عدد كبير من المناضلين مصيرا شنيعا بفعل وحشية التعذيب وأساليب الاستنطاق، وتم تفكيك الشبكات بما فيها المصلحة

1 - بن يوسف بن خدة، الجزائر عاصمة المقاومة 1956-1957م، مصدر سابق، ص ص79-80.

2- المصدر نفسه، ص ص 98-99.

الإعلامية التي كانت متواضعة جدا والتي أزيلت نهائيا، كما اختفت مصالح الاتصالات والاستعلامات[1].

لقد كان من أقوى النتائج السلبية فقدان القائد الرمز بن مهيدي الذي تعرض للاعتقال يوم 23 فيفري في ظروف يحيط بها الكثير من التساؤلات[2] ، وقرار بقية أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ التعجيل بالخروج من العاصمة في بداية شهر مارس 1957م، حيث تكفل المناضل محمد رشيد أوعمارة بنقل دحلب ثم ابن خدة، ونقلت المناضلة المتعاطفة كلودين شولي عبان وكريم في سيارتها وذلك في نفس اليوم الذي اعتقل فيه زوجها بيار شولي في منزله، وكان لقاء الأربعة في منطقة الشريعة بالأطلس البليدي، ومنها توجهوا صوب مقر قيادة الولاية الرابعة، وحفاظا على صيرورة الثورة قرروا عدم المغامرة بالبقاء داخل الوطن فاختار اثنان منهم طريق الغرب وهما دحلب وعبان بغرض الوصول إلى المغرب، بينما آثر كريم وبن خدة التوجه إلى تونس[3].

1 - سعد دحلب، المصدر السابق، ص 60.

2- بعد نجاح قوات ماسي في تدمير البنية التنظيمية لج ت و بالعاصمة وتوسع حركة الاعتقالات التي مست الآلاف شعر أعضاء لجنة ت ت بدرجة الخطورة المحيطة بالأمكنة التي كانوا يترددون عليها وخاصة القصبة، فانتقل بن مهيدي إلى شقة بالحي الأوربي كانت مكانا استثنائيا للقاءات، ويقيم بها ابن خدة بصفة استثنائية، ولا يعرفها سوى المناضل هاشمي حمود، ولما اعتقل هذا الأخير يوم 21 فيفري 1957م أقر تحت التعذيب الفظيع بمعرفته بابن خدة دون أن يبوح بمكان اجتماعات اللجنة الذي يعرفه جيدا، حيث وجّه جلاديه إلى الشقة التي كان يعتقد أن ابن خدة لن يكون متواجدا بها وأنها شاغرة، فكان أن صادف تواجد القائد بن مهيدي بها لحظة مداهمتها فوقع بين أيدي المظليين دون أن يكون المستهدف بعملية الاقتحام. ينظر: سعد دحلب، المصدر السابق، ص ص 52-53.

3- سعد دحلب، المصدر السابق، ص ص 57-59.

حظي الإضراب الذي نوقش في الذاكرة الجماعية للجزائريين بنصيب معتبر في الأعمال الأدبية المخلدة لمسيرة الثورة التحريرية، فقد حرّك الحس الفني لعدد من الشعراء فتفاعلوا معه بحماس، ويكفينا هنا أن نعرض نموذجين لهذا التفاعل، فقد نظم فيه الشاعر الجزائري حسن حموتن قصيدة طويلة أبدى من خلالها إعجابه وإكباره للحدث، نلتقي منها هذه الأبيات.

حدّث خليلي عن مدى الإضراب ... وانقل صداه إلى ذوي الألباب
إضراب أسبوع وهل سمع الورى ... في العالمين نظير ذا الإضراب.[1]

وتبقى في تقديرنا ما جادت به قريحة مفدي زكرياء، من أبلغ التصويرات الفنية التي تعاطت إيجابيا مع هذه المحطة التاريخية.

تبـارك شعبٌ، تحدى العنادا فصـام، واضرب سبْعا شدادا
وآنـف أن يستسيـغ الحيـاة تجرعّـه ذلـة واضطهـادا
واقسـم، أن لا يعيـش النهـار عميـلا...يوفـر للبـوم زادا
وجنّت فرنسـا لإضراب شعبٍ فعاثت بعرض البلاد فسـادا
بكت فضحكنا، وقال الزمـان تبـارك شعب تحدى العنـادا.[2]

خاتمة

لعل ما يمكن استخلاصه من تجربة الاضراب الشامل، أن الثورة التحريرية الجزائرية قد خاضت كل المسالك، وطبقت أساليب متنوعة ومتباينة في درجة تأثيرها محليا وخارجيا، ولم يكن اضراب الثمانية أيام خيارا بل كان ضرورة حتمية اقتضتها المرحلة، حينما كان ولابد من اظهار سلطة

1 - مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1996 ص 68.

2- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 77.

وحصرية التمثيلية لجهاز جبهة التحرير الوطني، في ظل وجود ترسانة هائلة من الوسائل والأساليب الدعائية والقمعية التي طبقها الاستعمار لمحاولة ثني الشعب الجزائري عن معركة التحرير، وإذا كان طريق إثبات الذات والتطلع إلى الحرية لا يمر إلا عبر هذا النوع من الجسور، فإن تجربة 28 جانفي– 04 فيفري 1957م تعكس هذا التوجه بالذات، بغض النظر عن التداعيات السلبية المصاحبة والتي قد لا يتفق الجميع بشأنها، وإذا كان التاريخ لا يحتمل تبني الفرضيات، فإن السؤال المطروح هل كان ثمة بدائل أمام قيادة الثورة يمكنها أن تخدم مسعى التدويل وتوسيع رحى المعركة، وإن الإجابة المقنعة لهذا الأمر، لا يمكن أن تكون بأثر رجعي، بل هي وليدة اللحظة التاريخية التي تجسد فيها اعتماد القرار المصيري.